نظرة الرحالة الغربيون للشرق ما بعد هيمنة الكنيسة.

بوصلاح حياة

جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة2

الملخص:

أثارت قضية اتصال الشرق الإسلامي والغرب المسيحي اهتمام الكثير من المفكرين حول البدايات الأولى للاستشراق، والدوافع التي حفزت على اهتمام العالم الغربي المسيحي بالمسلمين خاصة إبان العصور الوسطى أين تراجع ظل الإمبراطوريات الكبيرة مقابل علو شأن العالم الإسلامي. إن ما يتصف به الدين الإسلامي من أخلاق حميدة كالتسامح الديني والحرية تمخض عنه إثارة الأحقاد والدغائن خاصة من قبل رجال الدين فراح رهبان الكنائس وقساوستها يعملون على إثارة الأكاذيب وتحفيز المغامرين على الرحلة باتجاه بيت المقدس ولهذا صبغت كتاباتهم الأولى بالتحيز للكنيسة المسيحية والإشادة ببطولات الجيوش الصليبية من جهة والتغني بجمال وثراء مدن العالم الإسلامي من جهة أخرى، لحشد أكبر عدد من الجماهير الأوروبية ودفعهم إلى الهجرة نحو الشرق واسترجاع الأماكن المقدسة. لكن هذه النظرة لم تخلو من وجود بعض المحاولات من قبل بعض الرحالة من إنصاف المسلمين وتدوين ملاحظاتهم عن المنطقة وسكانها في مختلف جوانب الحياة بكل موضوعية خاصة بعد فشل الحروب الصليبية وتعمق الانشقاقات داخل الكنيسة.

الكلمات المفتاحية:

الكنيسة، الشرق، الإسلام، الصراع، الرحالة.

مقدمة:

ظهر الاصطدام بين الغرب والشرق منذ القديم في شكل مواجهات عسكرية شنتها القوى والجيوش الأوروبية الرومانية وما جاء بعدها من إمبراطوريات على الشرق، التي استطاعت فرض ثقافتها على الشرق لقرون عديدة، لكن بمجيء الإسلام تراجعت هذه القوى وظهرت على مسرح الأحداث تلك الشعوب الضعيفة التي لا طالما كانت خاضعة للقوى الكبرى سواء البيزنطية أو الفارسية، هذه الشعوب التي شنت سلسلة من الحروب العسكرية عرفت بالفتوحات الإسلامية لنشر الدين الإسلامي وتعاليمه، وتمكنت في غضون نصف قرن أن تشكل دولة مترامية الأطراف في كل من آسيا وإفريقيا وأوروبا على حساب الإمبراطوريات القديمة.

إن هذا التوسع لم يكن ليرض شعوب الإمبراطورية البيزنطية الأوروبية وفي مقدمتها الطبقة الدينية باعتبار الدين الإسلامي يشكل تهديدا كبيرا على الكنائس المسيحية المحرفة وعلى مصالحهم. إن طبقة رجال الدين والكهنوت كانت تسيطر على زمام الأمور في العصور الوسطى، فأول ما قامت به هو البحث عن أسباب نهوض المسلمين وتطورهم، وتفوقهم فأرسلت البعثات الطلابية لينهلوا العلوم من المراكز العلمية الكبرى في البلاد الإسلامية، كما شنت حملة دعائية واسعة صبغها التهكم على الرسول صلى الله عليه وسلم

والمسلمين والتشكيك في البطولات الإسلامية أطلق عليها الاستشراق (أنظر تعليق رقم: 1). لقد كانت الخطابات التي ألقاها رجال الدين مليئة بالحقد والكراهية مشكلة صورة سيئة رسمتها أفكار وتصريحات رجال الدين وكتابات الرحالة وزادت من حركة الرحلة للحج إلى البقاع المقدسة وساهمت في حشد الجماهير الأوروبية لاسترجاع الأماكن المقدسة بالمشرق الإسلامي لينتهي الأمر بشن حروب دينية على المسلمين عرفت بالحروب الصليبية. إن هذه الحروب ساهمت في الاحتكاك المباشر المسلمين والتعايش معهم وفي بيئاتهم فدرسوا لغاتهم ولهجاتهم واضطلعوا على علومهم ومنجزاتهم الفكرية والعمرانية، فتولد عنها ظهور جملة من الرحالة والكتاب، تناولت أقلامهم الشرق بنوع من الموضوعية، ودونوا ما شاهدوه بمصداقية محاولين تغيير الصورة التي رسمتها الكتابات السابقة وحتى المعاصرة لهم من الرحالة الذين تميزوا بالتحيز للمسيحية.

أولا: الرحلات المسيحية وأثرها في تغذية الصراع الحضاري الديني بين العالمين.

شكلت الرحلات التي قام بها الأوربيون باتجاه العالم الإسلامي بشقيه الشرقي والغربي مع بداية العصر الوسيط النواة الأولى للانطلاق في التعرف على العالم الإسلامي خاصة بلاد الأندلس التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف المستعربين لدراسة اللغة العربية (أنظر تهميش رقم: 2) ثم ترجمة الكتب بمختلف تخصصاتها خاصة القرآن والفلسفة والطب والرياضيات إلى اللغة اللاتينية (محمد محمد إبراهيم كركور ، محمد، 2018، ص 36)، يقول أحد الباحثين(كامل عبد اللطيف، بهجة، ص 8):" ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم"، ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي "جربرت دي أورياك" (938- 1003م) الذي تعلم العربية والرياضيات والفلك في مدارس إشبيلية وقرطبة، ولما عاد إلى وطنه تولى منصب البابوية باسم "سلفستر الثاني"(999- 1003م)، فأمر بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى في روما والثانية في رايمس وطنه، و"بطرس المبجل" (1094- 1156م)(أنظر تعليق رقم: 3)، و" جيرار دي كريمونا"(1114- 1187م)(أنظر تعليق رقم: 4) الذين عملوا على نشر ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم(كامل عبد اللطيف، بهجة، 2009، ص 5).

لقد كانت نظرة هؤلاء الرحالة والعقلية الأوربية بصفة عامة تتسم بالعداء والحقد والتعصب(بهجة، كامل عبد اللطيف، 2009، ص6). إن ما يلاحظ على هذه الرحلات أن جلها قام به رجال الدين وهو ما يفسر الصراع الحضاري بين الشرق والغرب أو الحقد الديني على العالم الإسلامي الذي انتهى بقيام حروب دينية تعرف بالحروب الصليبية التي جاءت بقرار كنسي بمدينة كليرمونت بفرنسا من قبل البابا "أوربان الثاني" (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 167) عام 1095م وقد دامت هذه الحروب ما يقارب القرنين من الزمن(1096- 1291م)، لقد رسم هؤلاء الرحالة بدعم من رجال الدين المسيحي نظرة محرفة عن الإسلام والمسلمين في نفوس الأوروبيين، يقول "أليكسي جورافسكي" (حديدي، الطيب، 2013، جويلية، ص 303):" إنه عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه

المعتمد للحقائق، إنها دين الجبر، والانحلال الخلقي، والتساهل مع اللذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة".

لقد كان لأدب الرحلات في إطار ما يعرف برحلة الحج إلى الأماكن المقدسة طلبا للتوبة والغفران والدفاع عن الأماكن المقدسة المسيحية دور كبير في تحريض الأوربيين على المسلمين، فقد استطاع هؤلاء الرحالة التعرف على الشرق ومعاينة معالمه، فكانت هذه الكتابات تكتب في شكل تقارير ترسل لرجال الدين الأوربيين المسيحيين ليقرأوها على مسمع العامة، فكانت بذلك وسيلة ناجحة للترويج للحروب الصليبية (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 167/ محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018 ، ص 44). إن هذه الرحلات وصفت المسلمين بالوثنيين والبرابرة المتوحشين المعتدين (رائد مصطفى عبد الرحيم، المرجع، 2011 ، ص 167/ قاسمي، عبد الناصر، 2007، 2008، ص 22). أما على الصعيد الاقتصادي فقد عملوا على الترويج للتجارة (الدعمي، محمد، 2008، ص 36). ذلك أن هؤلاء الرحالة الذين زاروا فلسطين عادوا منها محملين بالبضائع ليبيعوها في أوطانهم وتحقيق الأرباح (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 163/ مؤنس أحمد عوض، محمد، 1996، ص 16) فكانت حافزا قويا على الرحلة إلى الشرق، ومن أشهر الرحالة التي شهدتهم هذه الفترة:

- رحلة الحاج سايلوف الإنجليزي(1102- 1103م).

زار سايلوف(أنظر التعليق رقم: 5) منطقة الشرق حاجا للأراضي المقدسة بعد استقرار المسيحيين في فلسطين، أظهرت هذه الرحلة النظرة العدائية التي يكنها المسيحيون للمسلمين(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 185).

- رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب(1106- 1107م).

قدم هذا الرحالة حاجا إلى بيت المقدس ثم تنقل في بلاد المشرق وبالأخص في فلسطين والأردن ولبنان، حيث تمكن من زيارة سبع وتسعين موضعا ووصفها وصفا موضوعيا من وجهة نظره. لقد كان من نتاج هذه الرحلة إعطاء صورة مشوهة عن المسلمين تزيد من كره المسيحيين لهم، والعمل على تشجيع الأوروبيون على الرحلة لزيارة الأماكن المقدسة والاستقرار بها وافتكاك ما تبقى منها من أيدي المسلمين، متغنيا بجمال تلك المناطق وخصوبة أراضيها، وأدرج "دانيال" في الرحلة الأساطير والخرافات منها (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 185- 186):" النور الذي يهبط على الضريح المقدس في القدس، فيضيء منه المسيحيون قناديلهم والقناديل المحيطة بالضريح" فأخذت هذه القصة جزء كبيرا من رحلته. وقد نعت المسلمين في رحلته بالكفار (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 187) قائلا:" وبعون الله قمنا بزيارة تلك الأماكن دون أن نقابل الكفار"، لم يخالف هذا الرحالة في تصوير المسلمين بصورة مشوهة تخالف الحقيقة في تلك الحقبة ليزيد من حقد المسيحيين على المسلمين وترغيبهم في الرحلة إلى الأراضي المقدسة.

- رحلة فيتلوس(1130م).

قام الرحالة "فيتلوس" (أنظر تعليق رقم: 6) بتقديم صورة عن الأراضي المقدسة بفلسطين ولبنان والأردن مركزا على الجانب الديني فيما يخص الأديرة والكنائس والمزارات المقدسة، حيث ربط هذه الأماكن بالتاريخ المسيحي، وبمعجزات السيد المسيح عليه السلام، والأعياد الدينية التي كانت مجالا خصبا لترغيب الآلاف من الحجاج للرحلة إلى فلسطين والاحتفال بأعيادهم بها.(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011 ، ص 188)، مشيدا بخصوبة الأراضي وعذوبة المياه ووفرة خيراتها. وكغيره من أقرانه الرحالة الذين سبقوه كان متحاملا على المسلمين معبرا عن كرهه لهم.(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011 ، ص 188- 189).

- رحلة الألماني يوحنا فورزبورغ(بين عامي 1160- 1170م).

احتوت رحلة "يوحنا فورزبورغ" (أنظر التعليق رقم: 7) على سبع وعشرين فصلا خصص ستة عشر فصلا منها للحديث عن بيت المقدس، وقد قدم من خلال رحلته صورة عن المحتل الصليبي وجنسياتهم، وعن طريقة إدارة المدينة المقدسة والمعالم الدينية، كما نوه إلى التنافس بين الفرنسيين والألمان، وجاء في الرحلة حديث عن النفوذ الذي تمتعت به الفرقتين الأساسيتين في الجيش الصليبي الإسبتار والداوية (مصطفى عبد الرحيم ، رائد، 2011 ، ص 189- 190)، والإمكانيات التي يتمتعان بها من معدات وإسطبلات، ودور الداوية في الحروب الصليبية الثانية والانتصارات والبطولات التي حققتها الفرقتين. إن هذا الرحالة يرى بأن هذه المنطقة من العالم المسيحية سوف تمتد حدودها من ما وراء النيل جنوبا إلى ما وراء دمشق شمالا، إذ توفر عدد كبير من الألمان مثلما الأمر بالنسبة للأمم الأخرى، فهو في رحلته يظهر تحمسه لبني جلدته. لقد أعطت رحلته دليلا على أن الرحالة الأوروبيين ممن شارك الصليبيين المحليين التطلع إلى توسيع حدود مملكة بيت المقدس(مؤنس أحمد عوض، محمد، 1996، ص 127- 129).

- رحلة ثيودريش الألماني(1161- 1164م)" وصف الأماكن المقدسة في فلسطين".

عبر الرحالة "ثيودوريش"(أنظر التعليق رقم: 8) عن أسباب رحلته في غير موضع عن رغبته في نقل تجربته ومشاعره الدينية عقب زيارة الأماكن المرتبطة بالمسيح قائلا(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 190):" أننا قمنا بهذه التجربة بهدف أنه عند قراءة هذا الوصف أو الرواية فإنه من الممكن أن يتعلم دائما أن يتذكر المسيح في ذاكرته، وعن طريق المحبة يشعر بالشفقة عليه لأنه قرب هذه الأماكن، وعن طريق الشفقة قد يصل لإحراز الاشتياق إليه، وعن طريق الشوق قد يغفر خطاياه، وعن طريق الغفران من الخطايا قد يحرز الرحمة، وعن طريق الرحمة قد يصبح مشاركا في مملكة الجنة"، إن هذه الكلمات تثير حمية المسيحيين وتزيد من إقبالهم لزيارة بيت المقدس والأماكن المقدسة بل الاستيطان بها والدفاع عنها، كما تعمل على التحريض ضد المسلمين. لقد لقيت هذه الرحلة رواجا كبيرا بعد استرجاع المسلمين لبيت المقدس حيث عمل الرهبان والقساوسة على نشر أفكار هذا الراهب للترويج للحروب الصليبية، أما صورة المسلمين في هذه الرحلة فقد كانت شبيهة بسابقيها على أنهم كفار ووثنيون(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 190- 192). تعد رحلة ثيودريش من أهم الرحلات الأوروبية حيث تطرق في كتابه إلى عناصر الرهبان الفرسان مثل الإسبتارية والداوية وأنشطتهم في الأرض المقدسة سواء على الجانب الحربي أو الجانب الطبي، وقد تناول بعضا من المدن الساحلية منوها لانتعاش الحركة التجارية في

المنطقة، وأهم الأسواق في أنحاء المملكة الصليبية، مبينا أن أهم ميناء ينزل به آلاف الحجاج وكذا التجار القادمين من أوروبا هو ميناء عكا، مضيفا إلى أنه يستغل لتصريف منتجات المدن الداخلية ، بالإضافة إلى كونه يشتهر بصناعة السفن وإصلاحها خاصة وأن سفن الأوربيين تتعرض للانكسار بسبب العواصف القوية (مؤنس أحمد عوض، محمد، 1996، ص 180- 186).

- رحلة الألماني بورشارد(القرن الثالث عشر ميلادي)" وصف الأرض المقدسة".

كانت هذه الرحلة على عهد المماليك أين كان المسلمين يعملون على استكمال تحرير باقي الأراضي الإسلامية في فلسطين ولبنان من يد الصليبيين، لقد أقام هذا الرحالة بالأراضي المقدسة مدة عشر سنوات تعرف خلالها على الكثير من التفاصيل حول مظاهر الحياة الاجتماعية العمرانية والاقتصادية والسياسية في بلاد الشام، واصفا مدنها وقلاعها وقراها وأنهارها وعيونها، ومتحدثا بمعرفة تامة عن أرض المقدس مشيرا إلى الأجناس والطوائف والديانات التي كانت بها وقدم لها صورتين: الأولى سلبية والثانية إيجابية شملت مختلف عناصر المجتمع من مسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى (مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 193/ محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018، ص 43).

- رحلة فون أولدنبرغ(1211م).

قدم صاحب "فون أولدنبرغ" تقريرا مفصلا رفعه إلى ملك ألمانيا "أوتو الرابع" بعد ما أرسله على رأس بعثة دبلوماسية إلى ملك القدس الأرمني "ليوفي" بخصوص وراثة عرش القدس، تحدث "أولدنبرغ" فيه عن مدن سوريا وفلسطين مبديا اهتماما بالشؤون السياسية والتحصينات العسكرية خاصة المدن المقدسة وألحقه بوصف لجغرافية سوريا، كما قام بوصف أحد قصور بيروت وتغنى بإحكامه المطلق في البناء والتشييد، غير أنه أبدى قلقا شديدا حول سقوط القدس بأيدي المسلمين، الذين وصفهم بالتسامح الديني، حيث كانوا لا يمنعون على الحجاج المسيحيين من زيارة الأماكن المقدسة وكنيسة القيامة ولكن بصحبة مندوب السلطان(الحيدري، إبراهيم، 1996 ، ص 15).

لقد أظهرت هذه الرحلات العرب المسلمين شعبا بدويا بربريا متوحشة يفتح وينهب، في يده اليمنى السيف، وفي اليسرى القرآن (الحيدري، إبراهيم، 1996 ، ص 13)، إن ما كتبه الرحالة والتجار كان له أثر بالغ في أوروبا كإثارة التعصب والغيرة والنعرات على الأراضي المقدسة، توخيا من أن (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 15):"لا تعبث بها الأيدي المعادية للمسيحية" حلى حد زعمهم.

ثانيا: عوامل التحول في وجهة نظر الرحالة (المستشرقين).

ترتب عن فشل الحروب الصليبية وانهزام الجيوش الأوروبية والطبيعة المتسامحة للمسلمين أثناء الاحتكاك بهم أن ظهرت ثلة من المثقفين والرحالة الأوربيين الذين قاموا بتدوين مشاهداتهم بنوع من الموضوعية، خاصة بعد تغير نظرة الأوربيين للمجتمعات الإسلامية وثقافتها، يقول "سيتزن" (قاسمي، عبد الناصر، 2007، 2008، ص 22):" إن رغبتي في زيارة العالم العربي وإفريقيا قد ازدادت أكثر فأكثر، وقد وجدت أن الشرقيين بشر مثلنا".

- أن هذه الرحلات جاءت بأمر من الأباطرة والأنظمة الرسمية في إطار البعثات الدبلوماسية مثل رحلة "أولدنبرغ" التي جاءت بأمر من الإمبراطور الألماني "أتو الرابع" (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 15/ قاسمي، عبد الناصر، 2007، 2008، ص 22).
- طبيعة الدين الإسلامي التي تدعوا إلى التعامل مع الغير باللين والمودة واحترام عقائد الغير والتسامح معهم(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 15). إلى جانب رغبة هؤلاء الرحالة في نشر تعاليم الدين المسيحي (التبشير الديني) في رسم صورة حسنة عنهم لدى الشعوب غير المسيحية، وهذا ما عبر عنه "بيتر فون كلوني" في مقولة له أن (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 22):" محاربة العرب لا يمكن أن تتم بقوة السلاح العمياء وحدها، وإنما بقوة الكلمة وبواسطة أساليب عاقلة في مقدّمها حب المسيح".
- تراجع ظل الكنيسة خاصة بعد زيادة الانشقاقات داخل الكنيسة وازدياد حدة الصراعات الدائرة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية (الدعمي، محمد، 2008، ص 41) وفساد رجال الدين الأخلاقي والمالي (محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018، ص 46) مع ظهور حركة الإصلاح الديني (أنظر التعليق رقم: 9)، إلى جانب تطور المناهج العلمية ببروز ثلة من المفكرين دعوا إلى تطبيق التجربة العلمية على العلوم التجريبية والفلسفة، فكانت النتيجة نشوء الصراع بين الكنيسة والعلم(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 29).

- تشجيع البعثات العلمية لطلب العلوم من المراكز العلمية وإنشاء المدارس والمعاهد التي أنشأت خصيصا لتخريج القناصل والسفراء والخبراء، لتأمين مصالح بلادهم وتوفير المعلومات عن البلاد الإسلامية (حديدي، الطيب، 2013، جويلية، ص 300)، وكذا إنشاء دور الطباعة للاهتمام باللغة العربية وآدابها والإنتاجات الفكرية الإسلامية في مختلف أصناف العلوم والاطلاع على ثقافة وعادات المسلمين، فكانت أولى البوادر لإنشاء المدارس التعليمية العربية بمدينة ريمس بفرنسا بأمر من البابا "سلفستر الثاني" كما سبق ذكره وإنشاء معهد لتعليم اللغات الشرقية عام 1285م، في حين استعان الفاتكان بالملوك والأمراء على تأسيس مدارس للغات الشرقية في عواصم بلدانهم وتخصيص كراسي مستقلة في كبرى جامعاتهم فاستجابوا لهم، ولكن هذا الأمر لم يتم إلا بعد صدور قرار كنسي الذي قضى به البابا "إكليمنفس الخامس" (1305- 1214م) في مجمع فيينا (1311- 1312م) بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في جامعات روما على نفقة الفاتيكان، وباريس على نفقة ملك فرنسا، وأكسفورد على نفقة إنجلترا، وبولونيا وسلمنكة على نفقة رجال الكنيسة في كل من البلدين(كامل عبد اللطيف، بهجة، ص 7/ محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018 ، ص 47/ أبو الحسن علي، هاشم، 2016، ص 322)، لأغراض حمائية وتبشيرية (حديدي، الطيب، 2013، جويلية، ص 298).

عرفت أيضا هذه الفترة عدة محاولات لترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وكانت أول محاولة على يد "روبرت أوف كيتو" سنة 1143م(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 22) لكنها تميزت بالرداءة فحال ذلك دون طبعها ونشرها، وكانت هذه الترجمة برعاية دير كلوني بجنوب فرنسا(بطرس المحترم) 1143م(بن محمد بن علي البارقي ، حسن، 2020، ص 977)، وظلت حبيسة بهذا الدير إلى غاية سنة 1543م(مصطفى عبد الفتاح، إسماعيل، 2016، ص 1152) وهي الترجمة كاملة للقرآن كان من المفترض أن تنشر بالبندقية سنة 1530م ما أثار غضب البابا "ألكسندر السابع" فأمر بإحراق جميع النسخ(الحيدري، إبراهيم،

1996، ص 23)، للتوالى المحاولات وصولا إلى ترجمة الإيطالي مراشي التي تفوقت على جميع سابقاتها(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 23).

ومن ثم اكتشف المجتمع الغربي الأوروبي أهمية الشرق ومعارفه وعلومه منذ العصور الوسطى، وأدرك تفوق الشرق عليه فكريا وحضاريا واقتصاديا، وأنه يجب على الأوروبيين أن يسيروا في نفس الطريق الذي سارت عليه شعوب الشرق، فقد قاموا بنقل الحقائق دون تزييف حتى يستفيد منها ولو ثلة من المجتمع أصحاب العقول الراجحة المتخلصة من سيطرة الكنيسة، وخاصة مع ظهور حركة الإصلاح الديني، ويرجع الفضل الأكبر في تحرير الفكر الأوروبي من جمود عصر الظلام الكنسي إلى "ميشل سكوت" (أنظر تعليق رقم: 10) الذي فتح الباب أمام نظرية ابن رشد القائمة على العقلانية المجردة التي تعد أساس كل تطور وتقدم.

ثالثا: نماذج عن الكتابات الغربية الموضوعية للشرق.

انقسمت وجهة نظر الرحالة إلى الشرق حسب ميولات والأغراض الشخصية للقائمين بها، وحتى موقف أو نظرة الأوروبي للمسلمين والإسلام وما يكنه من أحقاد ودغائن، وقد تزامنت هذه الرحلات مع الحروب الصليبية فكانت ذات وجهة عدائية، ويرى "سمايلوفتش" أن العقلية الأوروبية المتسمة بالحقد والتعصب(كامل عبد اللطيف، بهجة، 2009، ص6):" ظلت تفكر بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية، إذ كانت على معرفة ناقصة بالشرق وإن لم يكن لها في ذلك، ومع أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية فإن حقدها الديني وتعصبها الشديد لم يتركا لها مجالا كافيا للتفكير في الحقيقة وما وراءها وهكذا كان الواقع على الرغم من أن بعض أفرادها قد رحلوا إلى الشرق قبل تلك الحروب، وكانوا في أثناء إقامتهم فيه يتعرفون على المسلمين في موطنهم الأصل ويبحثون في تصرفاتهم وعاداتهم"، وفي النقيض من ذلك نسجل وجود كتابات أخرى جاءت بصيغة موضوعية متأخرة عن هذه الحروب ولكنها كانت قليلة مقارنة مع نظيرتها ومن نماذج هذه الكتابات:

- رحلة فريدريك بربروزا الأول(أواخر القرن الثاني عشر).

كان "فريدريك بربروزا" أول رحالة أوروبي يزور الصحراء العربية خلال الحروب الصليبية وأقام مع البدو علاقات ودية، فهي أول رحلة يخرج صاحبها في كتاباته عن الإطار التقليدي الضيق المليء بالعداء للمسلمين(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 14).

- رحلة وليم فون بولندزيلة الإيطالي(1332) .

اتجه الرحالة "وليم فون بولندزيلة" إلى بلاد الشام حيث نزل بصيدا ثم توجه نحو غزة مارا بصحراء سيناء وصولا إلى القاهرة، أين أذهلته آثار مصر الفرعونية والإسلامية العظيمة فأشاد بها في رحلته خاصة الأهرامات، ونهر النيل واستطاع "بولندزيلة" مقابلة السلطان "محمد قلاوون" الذي أعطاه فرمانا يسمح له بزيارة الأماكن المقدسة وأصبغ عليه حمايته حيث قال أنه استطاع أن (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 16):" يتنقل مع حاشيته، في جميع أرجاء العالم الإسلامي، بأمان واطمئنان، أكثر مما في بلاد النصرانية". تمكن هذا الرحالة من اتصال ببدو صحراء سيناء واستحوذ على اهتمامهم، فقدم وصفا عنهم يقضي بأنهم قوم رحل يقطنون الخيام ويحملون السيوف والرماح، يتمتعون بالقوة وكثرة العدد فيقول

في ذلك(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 16):" في وسع البدو، إذا ما اتحدوا أن يحتلوا مصر وسوريا معا". ثم سافر إلى دمشق التي أذهلته بجمالها ورواج التجارة فيها، فقد كان التجار يقصدونها من كل مكان فكانت القوافل الكبيرة المزودة بمختلف البضائع تأتيها من بغداد والهند. كما امتازت بحركتها الدائبة وكثرة سكانها ومهارة الأطباء وكثرة الصنائع ودقة الحرف البدوية. ومنها تنتهي رحلته ليعود إلى وطنه(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 16).

- رحلة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما(1502- 1508م).

يعد "فارتيما" أول رحالة استطاع التسلل إلى بلاد الحجاز سجل خلالها ما شاهده عن المنطقة وأوضاعها. لقد نزل هذا الرحالة بالإسكندرية ثم القاهرة ومنها إلى بلاد الشام وقد قدم وصفا عن المدن التي مر بها في أثناء رحلته، فيقول عن القاهرة (عبدولي، جمال، 2019، ماي،ص 125):" فمحيط القاهرة يساوي تقريبا محيط روما، إلا أنها على أي حال تضم مساكن أكثر بكثير من روما كما أن سكانها أكثر عددا"، ويصف حلب بأنها مدينة جميلة تعج بالتجارات، ودرس العربية بدمشق فأشاد بجمال عمران دمشق ووفرة خيراتها، وبها تمكن من نسج علاقة صداقة مع أحد الضباط المماليك المسؤولين عن تأمين قافلة الحج فضمه إلى كتيبة الجند المكلفين بحماية القافلة (عبدولي، جمال، 2019،ماي، ص 125)، وبالتالي سمحت له الفرصة بزيارة البقاع المقدسة.

سار الرحالة "فارتيما" مع ركب الحجيج الشامي فقام تدوين كل ما اعترضه في هذه الرحلة أو ما شاهده منطلقا من وصف غارات البدو من الأعراب على قوافل الحج، حيث استهل كتابته بالحديث عن عرب محطة المزيرب فيقول عنهم (عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 127- 128):" وصدقوني إن قلت أنه يبدو لي إنهم لا يعدون وإنما يطيرون كالصقور، فقد كنت معهم، ويجب أن تعلم أن غالبهم يمتطون الخيول غير مسرجة، وهم بأثوابهم المعتادة، ولا يستثنى من ذلك إلا علية القوم، ويتكون السلاح الواحد منهم من رمح (حربة) من خيزرانة هندية يبلغ طوله عشرة أذرع أو إثنى عشر ذراعا... وعندما يذهبون إلى القتال يتراصون متجاورين كأنهم ركائز يحادي بعضهم بعضا. وهؤلاء العرب (البدو) الذين أشرت إليهم آنفا ذوو أحجام صغيرة، ولونهم أصفر داكن، وأصواتهم كأصوات النساء، وشعورهم كثيفة، والحق أقول لكم أن أعدادهم هائلة لا يمكن إحصاؤها، وهم لا يكفون عن الاقتتال فيما بينهم، وهؤلاء البدو يقطنون الجبل وعندما يحين موعد مرور القوافل المتجهة إلى مكة المكرمة ينزلون من الجبل ويكمنون بقصد النهب، وهم يحملون زوجاتهم وأطفالهم وأمتعتهم وخيامهم فوق ظهور الجمال..."، يرأس هذه القبائل شيخ من أسرة "الزعبي" ويمتلك ثروة هائلة وله سلطان ونفوذ. و في الوجه المقابل يتباهى ببسالة ومهارة العسكر المملوكي وضراوته في القتال هؤلاء الأعراب بوصف تشوبه المبالغة أنه ستين مملوكا قادرين على مقاومة أربعين ألف أو خمسين ألف بدوي، ويقول عن فراستهم ومهارتهم(عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 129):" ويجب أن تعلم أني كونت خبرة ممتازة عن هؤلاء المماليك خلال رحلتي معهم فقد رأيت وآخرون المملوك يأخذ أحد عبيده يضع رمانة فوق رأسه ويجلسه (أي يجلس عبده) على بعد إثنى عشر خطوة ثم يصوب سهمه نحو الرمانة ويطلقه في قوسه فيصيبها... ومرة أخرى رأيت مملوكا يجري بالفرس عدوا، ثم فك سرجه ووضعه فوق رأسه ثم أعاده لموضعه فوق ظهر الفرس دون أن يسقط".

كان الرحالة " فرتيما" في أثناء سيره يعطي أوصافا للمناطق التي مر بها موكب الحجيج، وبعد مشقة وصلت القافلة إلى المدينة ومنها اتجهت جنوبا نحو مكة وكانت الطريق عبارة عن صحاري تملأها الرمال البيضاء التي أعاقت سير الحجاج، ومن الأوصاف التي قدمها الرحالة عن المدينة أنها كانت تضم زهاء الثلاثمائة منزل مشيدة بالحجارة، ويحيط بها سور من طين، ويعاني سكانها من القحط والجذب الذي أرجعه الرحالة إلى غضب الله عنهم، ويقدم لنا الرحالة وصفا دقيقا لأهم معلم إسلامي بها وهو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ(عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 136):" مائة خطوة طولا وثمانين خطوة عرضا ويوجد به بابان في كل جهة من جهاته الثلاث أما الرابعة فلا يوجد بها أبواب..."، ثم ينتقل للحديث عن مكة المكرمة فوصفها بأنها (عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 135- 136):" مدينة رائعة الجمال وتضم ستة آلاف أسرة ومنازلها جيدة كمنازلنا (في إيطاليا) وتوجد منازل يساوي الواحد منها ثلاثة أو أربعة آلاف دوكات ولا يحيط بمكة سور" وإنما تأخذ منعتها وحصانتها من الجبال المحيطة بها.

أما من الناحية الاقتصادية فإن الاقتصاد في بلاد الحجاز يقوم على رواج النشاط التجاري حيث ترتبط المنطقة بعدة علاقات تجارية مع العديد من الأقاليم عبر منفذ البحر الأحمر(عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 139)، وكان التجار فقد كانوا يتهربون من دفع الرسوم والضرائب.

ومن الناحية الاجتماعية فحسب وصف" فارتيما" أن العائلات الكبيرة من أسرة الأشراف حكام الحجاز كانوا يتصارعون فيما بينهم من أجل الاستحواذ على السلطة، اشتهرت منطقة الحجاز حسب زعمه بكثرة الفقراء الذين قدرهم بثلاثين ألف فقير بمكة، وبجدة خمس وعشرين ألف فقير يرتادون المسجد النبوي، لقد كان الفقراء يتقاسمون أضحيات العيد مع الناحرين، ويصف أوجه التكافل الاجتماعي عند حديثه عن الاحتفال بعيد الأضحى قائلا(عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 141- 142):" ويقدم كل ناحر ما نحره إلى الفقراء حبا في الله وتقربا إليه، إذ يوجد حوالي 30000 فقير هناك، سرعان ما حفروا حفرة كبيرة جدا ووضعوا بها روث الجمال وأشعلوا فيها نيرانا صغيرة وراحوا يشوون قطع لحم صغيرة ويأكلونها".

كما تعرض "فارتيما" للحديث عن السلوكيات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي الحجازي خاصة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لزيارة مقامه من انتشار ظاهرة البدع والخداع لكسب المال، والهام الزوار من الحجيج بصدور نور من حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، أما عن البدع التي كانت موجودة في مكة هو تقديس كثير من الناس لحمام الحرم لأنه حسب زعمهم ينحدر من سلالة الحمامة التي تحدثت إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم(عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 143).

ويقدم لنا "فارتيما" وصفا عن بعض طقوس الحج كالطواف بالكعبة (سبعة أشواط)، والإمساك بأركانها وتقبيلها، والهدي وذبح الأضاحي يوم النحر الموافق لعيد الأضحى، يقول في ذلك(جمال، عبدولي، 2019، ماي، ص 145):" فسأذكر بإيجاز ما يراعيه المسلمون عند تقديم أضاحيهم فما من رجل أو امرأة إلا وينحر رأسين أو ثلاثة على الأقل، بل إن

بعضهم ينحر أربعة وبعضهم الآن ينحر ستة حتى أنني أعتقد صادقا أنه قد تم ذبح أكثر من 30000 رأس من الغنم على الأقل في اليوم الأول بعد أن وليت وجوهها قبل المشرق..."، ويشير إلى خطبة القاضي في اليوم الثاني بجبل عرفة (عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 145).

وعلى الرغم من غلبة الطابع الموضوعي على الرحلة إلا أن الرحالة لم يتخلص من أفكار التحيز التي كانت سائدة آنذاك فجاءت كتابته فيها نوع من المغالاة خاصة عند الحديث عن أمور تخص المسيحيين فيقول عن بئر القديس مرقص صاحب الإنجيل الثاني الواقعة في الطريق الذي يصل بين المدينة ومكة أنهم وجدوا (موكب الحجيج) بها بئرا(جمال، عبدولي، 2019، ماي، ص 132- 133):" رائعة كانت زاخرة بكميات هائلة من المياه، ويقول المسلمون أن هذه البئر حفرها مارك المبشر كمعجزة من الله تعالى نظرا لحاجة هذه المنطقة الشديد للماء". ومن المغالطات التاريخية والدينية أيضا إدعائه أن النبي إسحاق عليه السلام هو النبي الذي فداه الله سبحانه وتعالى بالذبح العظيم، ووجود تصوير لزوجين من حيوان وحيد القرن على أحد جوانب الكعبة المشرفة (عبدولي، جمال، 2019، ماي، ص 145-146).

- رحلة لورانس روفولف(1573- 1576م).

انطلق "لورانس روفولف" من بلاده إيطاليا ونزل بطرابلس ثم انتقل إلى أعالي الفرات ومنها انطلق لزيارة المدن العراقية بغداد والفلوجة، وبابل واطلع على آثار السومايين والأكاديين، وبذلك كون فكرة واسعة حول سكان هذه المناطق، وسلك في طريق عودته طريق الشمال فزار كركوك وأربيل ثم الموصل ليواصل طريقه حتى يصل إلى طرابلس، لكنه اتهم بالتجسس فاضطر إلى الاختفاء. اشتغل في الطب بلبنان بمساعدة أحد القسيسين وهناك تعرف على المجتمع الدرزي وبعض عقائدهم وعلاقاتهم الاجتماعية (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 19).

يظهر من خلال كتابات هذا الرحالة أنه كان متحررا نسبيا من قيود الكنيسة، استطاع "روفولف" العيش مع بدو الصحراء، فكتب عن طريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم بشكل موضوعي واصفا أسلوب عيشهم التي طغت عليها الحياة الرعوية البدوية الخشنة أو ما يعرف بحياة الناجعة، يتنقلون بخيامهم وقطعانهم من منطقة لأخرى طالبين مصدر الاقتيات والمياه اللازمة لمواشيهم، كما قدم وصفا دقيقا للهودج الذي يستعمل أثناء التنقل ولباس النساء وحلي الأطفال. إن هؤلاء البدو حسب هذا الرحالة كانوا يفضلون أسلوب الترحال إذ يعدون من القبائل الظاعنة ويحتقرون حياة الاستقرار التي تعتمد على الزراعة، فينظرون إلى الفلاح نظرة احتقار ومهانة ويرتبونه في أدنى مرتبة من سلم المهن. يقول إبراهيم الحيدري عن هذا الوصف(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 18):" والحق أن الآراء، التي جاء بها روفولف، حول نمط عيش البدوي، هي حكيمة وصائبة، تعبر عن إحدى سمات الشخصية البدوية، التي لا تزال قائمة حتى اليوم". تعد رحلة "روفولف" أول رحلة إثنولوجية حول الشرقيين وسلوكاتهم وحياتهم الاجتماعية والدينية، وشيوخ البدو ورؤساء القبائل وأطلق عليهم ملوك العرب، والحياة الاقتصادية لهذه المجتمعات البدوية (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص ،19، 20).

وعلى الرغم من النظرة العدائية التي صبغت الكتابات الأوربية إلا أنها تحمل نوعا من الإيجابية فقد كتب "وليم الطرابلسي"(الدعمي، محمد، 2008، ص 37، 38):" على الرغم من أن إيمان المسلمين مغلف بالأكاذيب ومزوق بالتخيلات، فإنهم قريبون من الإيمان المسيحي كما أنهم ليسوا بعيدين عن طريق الخلاص". ومن بين أيضا الكتابات الموضوعية ما قيل حول دين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كونه دين لم ينكر الأديان السابقة التي تحدث عنها الكتاب المقدس، وهذا ما جاء في كتابات "أوتو أوف فريزيك" (الدعمي، محمد، 2008، ص 37) بقوله:" لقد صار معروفا لدينا أن العرب جميعا يعبدون إلها واحدا، وهم يعترفون بشرعية العهد القديم وبطقس الختان الذي جاء به هذا الكتاب بل إنهم لا يقذفون المسيح بوصفه رسولا من الرسل".

ومن النماذج الموضوعية أيضا المشوبة ببعض أفكار العصور الوسطى خاصة إبان الحروب الصليبية التي طفت إلى السطح بعد نهاية العصر الوسيط مصبوغة بنوع من التحيز والتهكم على المسلمين ما ذكره "سايمون أوكلي" (1678- 1720م)(أنظر التعليق رقم: 11) الذي ألف كتابا بعنوان تاريخ العرب(1708م) عن الفاتحين المسلمين بوصفهم رجالا عظاما حققوا انجازات مهمة قائلا" كأي شعب يحي تحت السماء"، مشيدا بالعرب والإسلام وما أنجزوه خاصة في المجال العسكري مستهلا كتابه بمهاجمة المسلمين وعقائدهم ليكسب القراء من العامة، يقول "إمرسون" حول تاريخ "أوكلي" (الدعمي، محمد، 2008، ص 45):" تاريخ سايمون أوكلي للعرب يكرر أعاجيب البسالة الفردية على نحو متعاظم الجلاء من جانب المؤرخ بدرجة أنه يضطر للشعور بأن وظيفته في أكسفورد المسيحية تتطلب منه لعنا واحتجاجا مناسبا (ضد الإسلام) تعبيرا عن الكراهية". إلى جانب ما كتبه "جورج سيل"(1680- 1736م)(أنظر التعليق رقم: 12) الذي حاول إماطة اللثام عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وخصاله، حيث يقول (الدعمي، محمد، 2008، ص 46):" إذا كانت المؤسسات الروحية والمدنية للأمم الأجنبية تستحق معرفتنا، فإن هذا الأمر واجب بقدر تعلق الأمر بمحمد، مشرع العرب ومؤسس إمبراطورية كانت قد تفوقت في أقل من قرن واحد على جميع الأقاليم التي سادها الرومان".

ويهاجم " جورج سيل" كل التواريخ الكاثوليكية التي كتبت سابقا عن الإسلام باعتبارها تواريخا مختلة بسبب نقدها المتعامي للإسلام فيقول (الدعمي، محمد، 2008، ص 46):" ينأى المؤلفون الكاثوليك بأنفسهم بعيدا عن تقديم أية خدمة بسبب ضحدهم للمحمدية..."، ويرد على "بريدو"(أنظر العليق رقم: 13) الذي تهكم على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بنبل أخلاقه وملخصا دوافعه بقوله إن "محمد" (الدعمي، محمد، 2008، ص 47):" جمع العرب الوثنيين لمعرفة دلالة الحق، وهذه أهداف نبيلة بلا شك فأنا لا يمكن أن أقبل إدعاء كاتب مثقف متأخر يصف استبدال محمد وثنية ذلك الشعب بدين آخر بأنه عمل سيء"، كما قدم إعجابا بالمسلمين وخصالهم النبيلة التي تبلورت وتهذبت خاصة بعد مجيء الإسلام (الدعمي، محمد، 2008، ص 47):" لم تكن هذه سجايا طارئة على العرب قط، فقد امتدحهم القدماء لدقتهم المتناهية في الالتزام بكلمتهم، ولاحترامهم أبناء جلدتهم، زد على ذلك اشتهارهم الدائم بسرعة البديهة وبالعمق وبحيوية الذهن ... وبخاصة هؤلاء العرب الذين يعيشون في الصحراء". ومن انجازاته الفكرية أيضا تقديم ترجمة للقرآن الكريم، حيث

استهله بمقدمة لفهم الكتاب، إذ عمل على التعامل مع الوثيقة بدون تحيز أو أحكام مسبقة(الدعمي، محمد، 2008، ص 45)، فهو بذلك تحرى الأسلوب الموضوعي في طريقة المعالجة فاتحا مجالا أمام الدراسات اللاحقة الأكثر جدية حول الشرق وتاريخه.

رابعا: رد فعل الكنيسة تجاه هذه الكتابات.

كان للكنيسة موقف معادي لأصحاب الكتابات الموضوعية، ونظرا لتأثير رجال الدين المسيحيين على دواليب الحكم ونفوس الرعية فكان هؤلاء الكتاب (الرحالة) يفقدون وظائفهم وهذا ما حدث للرحالة "روفولف" بسبب موقفه الودي مع العرب والمسلمين الذي طرد من وظيفته(مهنة الطب)(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 19). كما قوبلت كتابات بعضا من الكتاب بالمعارضة الشديدة من قبل رجال الدين المسيحيين ومنعت نشرها وقراءتها في وسط المجتمعات الأوروبية، من ذلك كتاب الديانة المحمدية للهولندي "هادريان ريلاند" (1676-1718م) وإن كان بعيدا عن فترة المدروسة فقد أدرجته الكنيسة الكاثوليكية في قائمة الكتب المحرمة ومنعت تداوله منعا باتا.

إن موقف رجال الدين المسيحي المعادي للإسلام لم يتغير، فقد حصل أسقف شالون في فرنسا ذو النزعة العسكرية الصليبية على موافقة البابا "دوكوزا" (1440-1461) فأصدر كتابا تاريخيا لغويا حول القرآن في 1460م الذي تعدى الجانب المعتقدي إلى الجوانب العسكرية والثقافية لفت الأنظار فيه حول خطر ورثة الدولة الإسلامية الجدد المتمثلين في الأتراك للقرب الجغرافي بين العالمين (الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 25)، وما يمكن تسجيله في هذه الفترة أن سلطة الكنيسة بدأت تتراجع بسبب ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارثن لوثر وكالفن(الحيدري، إبراهيم، 1996، ص 25).

خاتمة:

وخلاصة القول أنه على الرغم من أن جل الكتابات والملاحظات التي دونها الرحالة الأوربيون عن الشرق في العصر الوسيط وما قبل الثورة الصناعية وبنظرة يملأها الحقد والكراهية للدين الإسلامي والمسلمين، والتي أظهرت طابع الصراع الحضاري بين العالمين خاصة في المجال الديني(الصراع عن الأماكن المقدسة)، عملت هذه الكتابات جنبا لجنب مع خطابات البابوات والرهبان وغيرهم على تغذية الروح الأوروبية وتوليد الحقد والكراهية تجاه الإسلام والمسلمين. كما نسجل في المقابل من ذلك وجود ثلة من الرحالة كتبوا عن الشرق انطلاقا من تجاربهم الخاصة ودون تحيز للأفكار والصورة التي رسمتها الإيديولوجية اللاهوتية للعصور الوسطى فكانت كتاباتهم قريبة من الحقيقة، اتسمت إلى حد كبير بالموضوعية رغم المعارضة الشديدة التي تلقوها من قبل رجال الذين زادت سطوتهم خاصة بعد فشل الحروب الصليبية، لقد شكلت هذه الرحلات مصادر هامة لدراسة تاريخ الشرق وتسمح للمقارنة بما قيل حوله في المصادر العربية في تلك الحقبة.

لقد كان من نتاج هذه الكتابات الموضوعية تغير النظرة الاستعلائية والعدائية للأوروبيين حول الشرق والمسلمين بصفة عامة وفتحت المجال أمام دراسات علمية أكاديمية

جادة حول الشرق خاصة بعد عصر الثورة الصناعية، التي تناولت مختلف جوانب الحياة في مجالات الاجتماعية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

التعليقات:

1- **الاستشراق:** يعرفه" رودي بارت" بأنه :" علم يختص بفقه اللغة خاصة وأقرب شيء إليه، إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة" شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي". ويعرفه هاشم أبو الحسن علي:" هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين وأمريكيين من دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام والمسلمن في العقيدة والشريعة، والاجتماع والسياسة أو الفكر أو الفن...". (أبو الحسن علي، هاشم، 2016، ص 319، 321).

2- يقول جيوم بوستل (1505- 1581م) حول أهمية اللغة العربية:" إنها تفيد بوصفها لغة عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها. وعن طريق معرفة لغة واحدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله". (كامل عبد اللطيف، بهجة، 2009، ص 14).

3- **بطرس المبجل:** ويعرف أيضا بالمحترم راهب فرنسي ولد حوالي 1096، وجهه أهله للحياة الرهبانية، ونشأ قرب دير تسوكسيلاج التابع لدير كولوني، تولى رئاسة دير كولوني عام 1122م واهتم بأحوال المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلميين في إسبانيا، ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية، وألف كتبا في الرد على الإسلام. (بدوي، عبد الرحمن، 1993، ص 110/ عبد الفتاح مصطفى، إسماعيل، 2016، ص 1150).

4- **جيرار دي كريمونا** (1114- 1187م): مستشرق إيطالي، قصد طليطلة وتعلم في مدارسها حتى برع في اللغة العربية، وعكف على مصنفاتها، فترجم منها ما لا يقل عن سبع وثمانين كتابا في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، فمهدت مع مثيلاتها إلى انتشار العلوم في أوروبا وتوثيق صلتها بالشرق، توفي بطليطلة.(عبد الفتاح مصطفى، إسماعيل، 2016، ص 1150، 1151).

5- **سايلوف**: رحالة إنجليزي، وسايلوف اسم أطلق عليه" لكثرة ترحاله وأسفاره، وهو يشبه تعبير كلب البحر.(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011 ، ص 184- 185).

6- **فيتلوس(1130م):** كان رئيسا للشمامسة في كنيسة أنطاكية عام 1200م.(رائد، مصطفى عبد الرحيم، 2011 ، ص 187).

7- **يوحنا فوررزبورغ**: رحالة أوربي من جنسية ألمانية كان راهبا في كنيسة فورزبورغ ثم صار أسقفا لها، زار الأراضي المقدسة في فلسطين في القرن الثاني عشر ميلادي إبان الاحتلال الصليبي للقدس وبعض مدن الساحل الفلسطيني بين عامي 1160- 1170م.(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011 ، ص 189).

8- **ثيودوريش:** هو مسيحي متعصب كان أسقفا في مدينة فورزبورغ ولهذا تميز بدرجة عالية من التدين مع ثقافة دينية رفيعة، رحل إلى البقاع المقدسة ، وكان سبب رحلته نقل

تجربته ومشاعره الدينية عقب زيارة الأماكن المرتبطة بالمسيح وآلامه إلى أولئك الذين لم يتمكنوا من زيارتها.(مصطفى عبد الرحيم، رائد، 2011، ص 190).

9- **الإصلاح الديني:** هو حركة ظهرت في النصرانية بسبب شدة سلطان الكنيسة على الناس والعلماء، وفرض سلطانها على الملوك، واستبدادها بفهم الكتاب المقدس، فاعترض على ذلك مارتر لوثر(1482- 1546م)، وزونجلي(1484- 1531م)، وكلفن(1509- 1564م)، وقامت حركات الإصلاح الديني معتمدة على نصوص الكتاب المقدس وحدها، وأنه ليس لرجال الدين حق الغفران، واستحالة العشاء الرباني(تحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه)، وإنكار الرهبنة.(محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018، ص 39).

10- **ميشل سكوت:** أسكتلندي عاش تقريبا بين عامي 1175- 1230م، باحث ورياضي وطبيب، درس في أكسفورد حيث تعلم الفلسفة والرياضيات، ويظهر أنه درس الدين حيث طلب البابا هونوريوس الثالث من كبير أساقفة كانتربري أن يمنح مركزا دينيا لسكوت في إنجتلرا عام 1223 أو 122، دهب إلى طليطلة وكان قد تعلم فيها العربية حيث اطلع على الأعمال الأصلية لابن سينا وابن رشد والنسخ العربية من أعمال أرسطو، وترجم عددا من أعمال أرسطو من العربية والعبرية. (محمد محمد إبراهيم كركور، محمد، 2018، ص 36).

11- **سايمون أوكلي(1678- 1720م):** مستشرق إنجليزي كان مولعا بتعلم اللغات الشرقية، دخل كلية الملكة بجامعة كمبردج في سن الخامسة عشر، عين في سن السابعة عشر مدرسا للغة العبرية وفي 1711م في نفس الكلية عين أستاذا لكرسي آدامز العربية (بدوي، عبد الرحمن، 1993، ص 57، 58).

12- **جورج سيل(1697- 1736م):** مستشرق إنجليزي، ولد بمدينة كانتربري بلندن كان طالبا في معهد" المعبد الداخلي"، أتقن اللغة العربية والعبرية، اشتهر بترجمته للقرآن باللغة الإنجليزية ، نشر أول ترجم له سنة 1734. (بدوي، عبد الرحمن، 1993، ص 395).

13- **همفري بريدو (1648- 1697م):** مستشرق إنجليزي، ولد بمقاطعة كورنول غربي إنجلترا، التحق بجامعة أوكسفورد بكلية المسيح، حصل على البكالوريوس في الآداب، وعلى الدكتوراه في اللاهوت سنة 1686م، عين مدرسا في كلية المسيح بجامعة أوكسفورد، اشتهر بكتابه" حياة محمد" الذي نشر سنة 1697م. (بدوي، عبد الرحمن، 1993، ص 107).

المراجع.

- بدوي، عبد الرحمن.(1993). موسوعة المستشرقين.(الطبعة الثالثة). بيروت ، لبنان: دار العلم للملايين.

- حديدي، الطيب.(2013، جويلية). المستشرقون ومدى اقترابهم من الحقيقة : المستشرق الألماني- شيخ المستشرقين تيودور نولدكه وكتابه " تارخ القرآن" نموذجا . مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع 6.

- أبو الحسن علي، هاشم. (2016). الاستشراق والاستغراب. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، ع 25.

- الحيدري، إبراهيم.(1996). صورة الشرق في عيون الغرب : دراسة الأطماع الأجنبية في العالم العربي. بيروت، لبنان: دار الساقي.

- الدعمي، محمد .(2008). الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي.(الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- عبد الفتاح مصطفى، إسماعيل. (2016). الاستشراق بين النشأة والأهداف . حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، طنطا.

- عبدولي، جمال.(2019، ماي). رحلة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في مطلع القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي. مجلة عصور الجديدة، ع 1(9).

- قاسمي، عبد الناصر. (2007، 2008). الاستشراق عند إدوارد سعيد. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة الجزائر.

- كامل عبد اللطيف بهجة.(2009). نظرة في نشأة الاستشراق. مجلة كلية الأدب، ع 90.

- بن محمد بن علي البارقي ، حسن.(2020). الاستشراق تطوره ومراحله. مجلة كلية الدراسات الإسلامي والعربية للبنات.

- محمد محمد إبراهيم كركور ، محمد .(2018). مفهوم الاستشراق وصلته بأجنحة المكر الأربعة. حولية كلية دعوة الحق، ع 31(1).

- مصطفى عبد الرحيم، رائد. (2011). وسائل الدعاية الصليبية: صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجا . مجلة جامعة الأزهر، غزة، ع 1(13).

- مؤنس أحمد عوض، محمد. (1996). الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099- 1187 ميلادية. القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.